

بطاقة المشاركة:

اللقب والاسم: حساين رايح محمد.

الرتبة العلمية: طالب دكتوراه، سنة رابعة، التخصص: نقد ومناهج.

المشرف(ة): بن سنوسي سعاد (أستاذة التعليم العالي).

مؤسسة الانتماء: جامعة الجيلالي ليايس، سيدي بلعباس.

البريد الإلكتروني: rabah.hassaine@univ-sba.dz

محور المداخلة(المحور الثالث): أدب الطفل والتنشئة الاجتماعية.

عنوان المداخلة: "دور الخطاب القصصي الجزائري في التنشئة الاجتماعية لدى تلاميذ المرحلة الثانوية السنة الأولى ثانوي - أنموذجا-".

الملخص:

يمثل حضور الخطاب القصصي مكونًا من مكوناتنا منهج المنظومة التعليمية للمرحلة الثانوية، ومن جهة أخرى معلمًا من المعالم الاستراتيجية والقراءة لبعث القيم التربوية والعمل على تنشئة المتعلم اجتماعيا وثقافيا ولغويا وفكريا. وتؤدي لغة الخطاب القصصي الجسدة في النماذج القصصية الحاضرة في الكتاب المدرسي للمتعلم وظائف متعددة تتمثل في التفكير والتواصل والتأمل والاكتشاف واكتساب ملكة القراءة والتعبير، أضف إلى ذلك أنّ تلك النماذج القصصية ما هي إلا فنّ ونموذج لغوي ووسيلة للتخاطب والتواصل بين المتعلم والجماعات والأفراد داخل محيطه الاجتماعي.

ولهذا تأتي هذه الدراسة لبحث مدى أهمية الخطاب القصصي الجزائري ودوره في التنشئة الاجتماعية لدى المتعلم في المرحلة الثانوية، باختيارنا لنصوص السنة الأولى كأنموذج، مبرزين الآثار الجمالية واللغوية والتربوية لتلك النصوص، وأيضا ما ينتج عنها من غرس المبادئ والقيم التي أراد لها مبدعو النصوص المختارة أن تجسّد في نفس المتعلم، وكذا سعيًا منّا للإجابة عن التساؤلات المطروحة في هذا الصدد والتي منها: كيف يمكننا استثمار ما لخطاب القصصي من سلطة وقوة وثراء دلالي لتسهيل عملية اكتساب القيم لدى المتعلم؟ ما الدور الذي تؤديه النصوص القصصية في تشكيل المخيال التعليمي للمتعلم وترقيته فكريا وتربويا وإبداعيا؟ ما هي الخصائص الفنية التي يبني عليها الخطاب القصصي؟ وفيم تكمن قيمة تلك النصوص القصصية؟.

الكلمات المفتاحية: خطاب قصصي، تعليمي، متعلم، ثانوي، اجتماعية.

1. مقدمة

إنّ الحديث عن الأدب الجزائري ليس ببعيد عن الحديث عن غريمه الأدب العربي بصفة عامة، " فقد عاش الأدب الجزائري نفس الظروف التي عاشها أدب الوطن العربي من ظروف سياسية وتاريخية وفكرية وغيرها"¹، وصلة الجزائر بأوروبا جعلتها تستفيد منها تجاريا واقتصاديا وحريريا، ولكن من الناحية الفكرية والثقافية لم تقدّم إفادة في شيء، لذلك كان هناك جمود فكري وثقافي، وبالرجوع إلى إيجابيات الاتصال فقد نقل الاستعمار المطابع والصّحف والمجالس العلمية إلى الجزائر، ولكن ليس لخدمة التعاون الثقافي، وإنما لسلب الشعب هويّته ومعامله وأفكاره، وعليه تعرّضت شخصية الأدب التي كانت محتفظة بمعاملها وتقاليدها إلى اضطرابات عنيفة أفقدتها تلك المقوّمات والملامح.

وحيث اشتعال لهيب الثّورة " ساد نوع من القلق أدى إلى تشردّ الأدباء والشعراء الوطنيّين، وشغل النّاس عن الأدب والشّعور ولم يعد همّهم التّعبير الجميل والوصف الرائع والغزل المليح"²، حتى لم يتسن لهم الوقت للاستمتاع بالأدب، حتى ساد الرّكود وجمود حركة الأدب والإنتاج الأدبي، الذي كان يخاطب العاطفة والعقل من غزل ووصف وزهد وحكمة وفلسفة.

وبشأن فن القصة في حد ذاته لم يعد ذلك الفن الذي يقصد من ورائه التّسلية والمتعة وجلب المسرة للنّفس وحسب، ولكن أصبح فنا له مكانته في الآداب المعاصرة، يتّخذ منها الكاتب وسيلة وأداة تعبير عن حاله وأحوال مجتمعه ووطنه بشكل في مميّز " يعمل على بثّ في نفوس قرائها - بغض النّظر عمّا تخلّفه - من متعة فنية، ودورا معرفيا يكسبهم القدرة على تفسير دوافع أفعالهم، وأفعال الآخرين إزاءهم"³.

2. الفن القصصي: بحث في المفهوم والنشأة والمقوّمات

إنّ القصة في التّصور العام هي "شكل نثري مستمد من حياة النّاس العامة، الاجتماعية وسواها بكل امتداداتها، فهي حكاية متطورة تروي حدثا ناميا أو موقفا ثابتا أو متطوّرا، تتحرّك فيه شخصيات غالبا ما تتقدّمها شخصية بارزة متميّزة تنهض بالبطولة في مسار الحدث أو في صياغة الموقف"⁴، والقصة في بعض التعريفات الأخرى الواردة بشأنها هي "عرض لفكرة مرّت بخاطر الكاتب، أو تسجيل صورة تأثرت بها

¹ ينظر: أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري، دار الزائد للكتاب، الجزائر، ط5، 2007، ص21.

² ينظر: المرجع نفسه، ص22.

³ محمد مصطفى أبو شوارب، مدخل إلى فنون النثر الأدبي ومهاراته التعبيرية، دار الوفاء، الإسكندرية، (د ط)، ص137.

⁴ عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث تأريحا وأنواعا وقضايا وأعلاما، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص136.

مخيّلته، أو بسط لعاطفة اختلجت في صدره، فأراد التّعبير عنها بالكلام ليوصلها لأذهان القراء، محاولاً أن يكون أثرها في نفوسهم مثل أثرها في نفسه" ¹ والكتابة بعد ذلك تصير فعلاً ذاتياً لكن في رؤى مختلفة، ولذلك كانت القصة قبل كل شيء فن أدبي نثري وهي "قطعة من النثر الخيالي أقصر بكثير من الرواية، ويركز على حدث أو موقف واحد، وغالباً ما تكون شخصياتها قليلة" ² بالاعتماد على سرد هذه الحوادث بطريقة متسلسلة، وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على أن مصدر هذه الأحداث التي تنبني منها وقائع القصة إمّا واقعية أو خيالية وتكون سبباً في نتاج المواقف وحركية الشخصيات. وأمّا بالنسبة لطول وحجم القصة القصيرة يحدّد بطول مقياس الزمن "حيث تتطلب من ساعة إلى ساعتين لقراءتها قراءة دقيقة" ³ وهذا قول الكاتب والشاعر الأمريكي إدغار آلان بو، ومسألة حجم القصة القصيرة تتفاوت من ناقد وآخر منهم من يرى أنّها "تقرأ في أقل من ساعة وآخرون من يرى أنّها تقرأ بين ربع وثلث ساعة، ورأي ينادي بفكرة عدد كلماتها تتراوح بين 500 (خمسمائة) كلمة و10000 (عشر آلاف) كلمة" ⁴. وأدبية القصة القصيرة لا تكمن في معناها وفحواها وأنّها ليست كذلك من حيث نشأتها في بادئ الأمر وما عمل فيها من مؤثرات، "وإنّما تكون أدبية بحكم صياغتها وأسلوبيتها وطريقة وظيفة اللّغة فيها" ⁵، فأسلوب الرواية يختلف عن أسلوب القصة القصيرة وأسلوب الخطابة يختلف عن أسلوب الشّعْر وهلمّ جرا، ولذلك كان الأدبية تبحث في ما يميّز به جنس أدبي عن غيره، "ويكفي الباحث ان يهتم بتتبع القيم الأسلوبية والفنية المشتركة في نوع من النصوص لتمييز هذا النوع عن غيره" ⁶.

2.1. نشأة القصة القصيرة الجزائرية:

لم تظهر القصة القصيرة في الجزائر إلاّ متأخرة مقارنة بظهورها الأسبق في الوطن العربي، وهذا التأخر راجع لعدة عوامل أبرزها: المستعمر الفرنسي الذي سعى للقضاء على اللّغة والهوية والثّقافة العربية، وكذا الحصار المضروب على ثقافتنا العربية في الجزائر ومنع الأدباء من الاحتكاك بغيرهم، وأيضاً السبب الرّئيس هو انقطاع الجزائريين عن منابع الحياة للثقافة العربية" ⁷ ويضيف عبد الله الرّكبي قائلاً: "قد تأخر ظهور القصة

¹ عبد العزيز شرف، الأسس الفنية للإبداع الأدبي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1993، ص155.

² نواف نصار، المعجم الأدبي، دار ورد للنشر والتوزيع، ط1، 2007، صص20-21.

³ عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه دراسة ونقد، دار الفكر العربي، ط9، 2013، ص112.

⁴ ينظر: المرجع نفسه، ص112.

⁵ عبد القادر عميش، شعرية الخطاب السردية، دار الأملية للنشر والتوزيع، قسنطينة، الطبعة الأولى، 2011، ص97.

⁶ إبراهيم خليل، في نظرية الأدب وعلم النص، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص15.

⁷ مصطفى فاسي، القصة الجزائرية القصيرة، مجلة الثقافة، عدد18، ديسمبر 2008، ص88.

لأسباب كثيرة ومختلفة، في مقدمتها الاستعمار الذي وضع حدًا للثقافة القومية في وضع شلّ فاعليتها وحركتها¹ يجمع التقاد على أن أول عمل قصصي كان للكاتب محمد السعيد الزهراوي الذي كتب بالعربية والذي نشر أول قصة قصيرة الموسومة فرانسوا والرّشيد سنة 1925 في جريدة الجزائر، وهي تعد "أول محاولة قصصية عرفها النثر الحديث في الجزائر على حد تعبير مرتاض"²، لنجد القصة القصيرة الجزائرية المكتوبة باللغة العربية تأخذ أبعادها وشكلها الفني في الأربعينيات ومن هؤلاء الذين اشتهروا محمد العابد الجليلي، وعبد المجيد الشافعي، وأحمد رضا حوحو وغيرهم³ وتحديدًا هذا الأخير - حوحو - الذي وضع أسسها وقواعدها الفنية.

3. حضور الخطاب القصصي في نصوص كتاب التّعليم الثّانوي: الأهمية والوظيفة

مما لا شك فيه أنّ المناهج التّعليمية الجزائرية سطّرت ووضعت برنامجًا تعليميًا موجّه للمتعلم لخدمة وتحقيق أهداف تعليمية معينة، منها اكتساب معارف ومهارات لغوية تضمن تطوره وتنشئته المعرفية واللّغوية طيلة مساره التّعلّمي. ومن مرتكزات تقدّم أشكال المعرفة هو ما تجسّده الخطابات والنّصوص الأدبية الحاضرة في الكتاب من شعر ونثر، هذا الأخير ممثلاً في الخطاب القصصي الذي يحمّق غايات ووظائف محدّدة، حتى لأصبح من بين المنتجات الإبداعية التي يميل إليها المتعلّم في مرحلة التّعليم الثّانوي.

والنّصوص الأدبية تمثّل ترجمة واضحة لمحتوى المناهج التّعليمية، حيث أنّ كلّ منهاج يقرّر تعليم نصوص مختلفة، والتي تقع ضمن أنشطة خاصة تسمى بالنّص الأدبي والنّص التّواصلية، ونص ثالث مرتبط بالمطالعة الموجهة حيث تسعى هذه النّصوص لتنمية الذّوق الفني، كون الكتاب في حدّ ذاته قائم على أساس المقاربة النّصية كاختيار منهجي، وعلى المقاربة بالكفاءات كاختيار تربوي⁴، والأهداف المستخلصة عقب هذه النصوص هي: "التدريب على القراءة الدّقيقة الواعية، والتّعرف على حقائق ومعلومات مختلفة ذات صلة ببيئة المتعلّم، فهم المتعلّم للطبيعة الإنسانية مصوّرة في الإنتاج الأدبي كالكرم، الأمانة، الخيانة، التّضحية، التّعاون، والوطنية، تكوين الشّخصية، وتوجيه السّلك بوجه عام، وتنوير الفكر وتهذيب الوجدان وتصفية الشّعور وصقل الذّوق وإرهاق الإحساس... الخ، وهذا كلّ يندرج ضمن أهداف التّربية

¹ عبد الله خليفة الركبي، تطوّر النثر الأدبي الحديث، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1978، ص 163.

² عبد الملك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر (1931-1954)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 1، 1983، ص 162.

³ أحمد دوغان في الأدب الجزائري الحديث، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط 1، 1996، ص 165.

⁴ ينظر: كتاب اللّغة العربية وآدابها، السّنة الثالثة من التّعليم الثّانوي، تنسيق وإشراف، الشريف مريعي، تأليف: دراجي سعيدي ومجموعة من الأساتذة.

المعاصرة التي منها: إعداد شخصية الفرد- المتعلم- لمواجهة محيطه وما في هذا المحيط من عوامل ودوافع وتفاعلات وصراعات¹ يعيشها ويحس بها مع من يحيطون به من أفراد وجماعات.

والخطابات القصصية خاصة تلك القصيرة منها كان لها الحضور البارز والمتواضع في نصوص كتاب التعليم الثانوي مقارنة بما أسلفنا عنه الذكر بنصوص أدب المشرق العربي، وهذا لا يعني أنّ الأدب الجزائري برغم قلة نصوصه الحاضرة في الكتب التعليمية ليس ذا أهمية عن غيره من الآداب، ولكن حضوره كان أمرا لازما ليتمكن المتعلم عبر الأطوار الثلاثة من التعليم الثانوي (السنة الأولى والسنة الثانية والسنة الثالثة) من التعرف على المبدعين والأدباء من أبناء جلدته وبلده، وحتى يتسنى له أيضا الارتقاء بثقافته ومعارفه وتفكيره وفتح أعينه على آفاق فكرية وعصرية والتزود بمبادئ وقيم مختلفة أيضا، وكلّ هذا يكتشفه من قراءة أعمال وإنتاجات أدباء البلد.

4. مقارنة نصية لنماذج قصصية:

ومن جملة النصوص التي ألفينا الوقوف عندها في كتب التعليم هي نصوص كتاب السنة الأولى للطور الثانوي كونها أولى فترات هذا الطور، وأيضا باعتبارها الفترة التي يبدأ فيها تشكّل التدوّق الأدبي للنصوص لدى متعلم هذه الفترة-السنة الأولى-، وأيضا حتى يتمكن من "التدرب على القراءة الدقيقة الواعية، والتعرف على حقائق ومعلومات ذات صلة ببيئته، واكتشاف شخصيته الأديب من خلال منتجته الفكري"².

من بين النصوص التي أمكننا مقارنتها بالدراسة والتحليل لدينا:

نص "المواجهة"³ لجميلة زنير، و"انتظار"⁴ لأبيالعيدودو، و"حادثة مؤلمة"⁵ لأحمد منور، وكلّها نصوص تعليمية مقرّرة في البرنامج السنوي لمتعلم السنة الأولى ثانوي ومندرجة ضمن نشاط المطالعة

¹ منهاج اللغة العربية وآدابها، السنة الأولى ثانوي، جذع مشترك آداب وجذع مشترك علوم وتكنولوجيا، مارس 2005، ص 12-14.

² منهاج اللغة العربية وآدابها، السنة الأولى ثانوي، جذع مشترك آداب وجذع مشترك علوم وتكنولوجيا ص 8.

³ المشوّق في الأدب والنصوص والمطالعة الموجهة، السنة الأولى جذع مشترك آداب، تأليف: حسين شلوف وأحسن تيلالي ومحمد القروي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسي، 2009، ص 135.

⁴ المرجع نفسه، ص 158.

⁵ المشوّق في الأدب والنصوص والمطالعة الموجهة، السنة الأولى جذع مشترك علوم وتكنولوجيا، تأليف: حسين شلوف ومحفوظ كحوال ومحمد خيط، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسي، 2009، ص 163.

الموجهة، باعتبار هذا الأخير ذي "مقام ممتاز لاكتساب المعارف وتحصيل المعلومات والتزود بالثقافات المختلفة، وتنمية الثروة اللغوية المختلفة"¹.

1.4. دراسة في نص "المواجهة" لجميلة زنير:

"جميلة زنير كاتبة جزائرية من مواليد مدينة جيجل عام ألف وتسعمائة وتسع وأربعين (1949)، اشتغلت بالتدريس ونشرت عدة أعمال في مجل القصة والرواية وأدب الأطفال، لها دائرة الحلم والعواصف عام 1981، جنية البحر عام 1999، وأوشام بربرية روايتها الشهيرة عام 2000، وتداعيات امرأة قلبها غيمة رواية هي الأخرى عام 2001، تحصّلت على عدّة جوائز وطنية ودولية"²، وهي تعالج في كتاباتها القضايا الاجتماعية المرتبطة بالمرأة والإنسان في صراعه اليومي من أجل تحقيق مثله وإخلاصه.

وفي قصتها المواجهة التي تسعى من ورائها إلى وضع المتعلّم في خضم المجتمع وصراعاته، و الذي يكتشف كيف أن المجتمع من حوله يعج بقضايا مختلفة وكيفية البحث عن حلول جذرية وخاصة أنه سيواجهها في يوم من الأيام.

تناول الكاتبة في قصة المواجهة قضية عقوق الوالدين وهي قضية اجتماعية بطابع ديني ، كيف لا والإسلام هو المشرع الذي أكد على هذه القضية في أكثر من موضع ،يقول تعالى : " وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا "³ ، فمن هذا المنطلق تسرد الكاتبة في قصتها كيف أن الوالدة العجوز تذكرت ابنها العاق الذي تركهم وخلعهم من ذاكرته ورحل للعيش إلى المدينة منذ زمن، بينما يهم الأب بشدّ الرحال للبحث عن هذا الابن لأنه اشتاق إليه، واهتدى الوالد للسفر إلى المدينة حيث استوقف شاحنة حملته بكل وجع إلى المدينة، ليصل بعد ذلك للمدينة ويسأل عن مقر الابن ليدلوه عليه في الأخير وتم العثور عليه ، وهنا تكمن المواجهة وتتأزم عقدة القصة التي حُبكت من قبل الكاتبة بأسلوب فني جميل ،فالتقاء الأب بابنه بث في نفسه البهجة والأمل والسرور ، ولكن رد فعل الابن لم يكن متوقعا فكان مرتبكا وخجولا من أبيه الذي رمقه بنظرات احتقار، وكيف أنه أخذه إلى منزله في أول الأمر ،ولما رأى امرأة طليقة

¹ منهاج اللغة العربية وآدابها، السنة الأولى ثانوي، جذع مشترك آداب وجذع مشترك علوم وتكنولوجيا، ص14.

² أحمد شريط، الفن القصصي في الأدب الجزائري المعاصر(الشكل الفني) مذكرة ماجستير ،إشراف الدكتور نسيب نشاوي، 1986-1987، ص427.

³ الإسراء: 23

المخيا سأل الوالد ابنه أهذه زوجتك؟ فأجاب في لحظة اكفهرار وتجهم: ليس بزوجته وإنما هي في العمل ،وفي هذا دلالة على الغنى والثراء الذي يعيش فيه الابن، بعد ذلك وجّه الابن والده إلى بناية كبيرة وصعدا درجاتها، إشارة من الابن لوالده الانتظار في الرواق حتى لا يرى أصدقاءه والده ولا يعكر صفو الجو عليه باحتفال زوجة الابن بعيد ميلادها ، حتى أحس الوالد نفسه معلقا في فضاء حالك سديمي، فالابن هنا تصرفه كان أشد خَطئًا لأنه أبعد والده خجلا من أصدقائه ولو كان غير ذلك لأحسن استقباله وغير له الملابس وأنزله أحسن مقام، و ما كان ردّ الوالد إلا أن ينظر لابنه بنظرات ثاقبة مقررًا بعدها الرّحيل والعودة لقريته.

ومن هذه القصة تبرز عدة ملامح وقيم كون الابن تغيرت طباعته بسبب ظروف المعيشة في المدينة ، وكذلك الأمر المنددّ به والمذموم وهو التّنكر لأعزّ النَّاس إليه هما الأب والأم، والأثر الكبير على الطّباع هو التّكبر والتّجبر والاستطالة. لذلك كان الموضوع اجتماعيا محضًا والتّنكر للوالدين وعقوقهما.

واستطاعت الكاتبة بريشتها السّاحرة ومقدمتها المشوقة أن تأسر القارئ —المتعلّم— وتجلب نظره نحو أحداث القصة مقدمة حزينة، حركة المشاعر، تمزيق الأكباد، وإدماء القلوب، وإسالة دموع العين وكان هذا كله بفضل انتقاء الألفاظ الموحية بالحزن والكآبة، حيث استعملت حاسة العين كونها الأكثر إحساسا في قولها: "سمرت عيناه..".

وأما المقومات الفنّية للقصة تتمثل في التّعبير المجازي المكثف، كالتّشبيّهات والاستعارات والكنائيات، والأساليب الخبرية والإنشائية، ثم الحوار ولغته السّهلة والواضحة، يقف عندها العام والخاص ولا يجد صعوبة في فهمها.

والكاتبة ترفض مثل هذه التّصرفات المطروحة في القصة، كونها امرأة وترفض أن يعامل ابنها والده بهذه المعاملة السيئة إذ تبدو متأثرة بالموقف، لذا عبرت بكل صدق وإحساس عما يعانیه الآباء من جراء ابتعاد الأبناء، فهي من خلال قصتها تريد من كل الأبناء —المتعلّم خصوصًا الذي سيدرك تماما قيمة العبرة المستخلصة من هذه القصة — التفاتة طيبة نحو آباءهم وتوجه كل اهتماماتهم اتجاههم، وهذه هي قمّة الشّجاعة.

2.4. دراسة في قصة "انتظار" لأبي العيد دودو:

"الكاتب من مواليد عام ألف وتسعمائة وأربع وثلاثين بقرية تامنجر، بلدية العنصر بجيجل، عمل أستاذاً بجامعة الجزائر، ثم مديراً لمعهد اللغة العربية وآدابها، أتقن عدة لغات، اشتهر بكتابة القصة والترجمة، توفي بالعاصمة سنة ألفين وأربعة، من آثاره: صور سلوكية، دار الثلاثة، الطريق الفضي، وبحيرة الزيتون، وتعدّ قصته (رسالة إلى أمي) أول عمل قصصي له نشرها سنة 1955"¹.

بأسلوب بسيط يطفح بالمشاعر الوطنية يمكن الكاتب من نقل قصته القصيرة بعنوان انتظار المأخوذة من مجموعته القصصية "بحيرة الزيتون" التي أصدرها عام ألف وتسعمائة وسبعة وستين بطلتها فتاة جزائرية¹ آمنة! عاشت الثورة بكل ما تحمله من مآسي وخوف ورعب كما عرفت كيف تدافع عن نفسها وبلدها، وخاصة أنها تعيش لوحدها مع أخيها "مصطفى" فقط، تتجسد أحداث القصة "في انتظار آمنة لأخيها مصطفى والذي تأخر عن المعتاد ولم تعرف سببا لتأخره، لأنه عزم على تفجير خمارة ليلية يحتشد فيها العدو، ليزداد خوفها وتضطرب حالتها النفسية شيئا فشيئا، وأرسلت مخاوفها ووساوسها أنه قد يكون أصيب بمكروه أو اعتقله رجال المستدمر الفرنسي، فالزمن هو زمن الثورة، إلى أن تسمع صوت ارتطام بالباب فأسرعت في لحظات لا تحسد عليها وإذا بأخيها فاقد الوعي ساقط أمام عتبة الباب، مصابا وحاملا مسدّسا، فهرعت إليه مسرعة محاولة منها لإنقاذه ولكنه مات شهيدا بعدما قال لها: بأنه قتل الحشرات..."² إيجاءً منه على جنود العدو، لتقرّر آمنة بعدها حمل المسدّس والانتقام لأخيها الثّار له. ومكان القصة لم يحدّد بالضبط إلا المدرسة، والبيت والخمارة الليلية التي فجرها مصطفى بعمله الفدائي.

جاءت أحداث القصة متوالية في قالب سردي مباشر بأسلوب سهل وواضح، «الانتظار، التفجير، موت الأخ، الانتقام من المستعمر...»، كما برز عامل المونولوج وهي إحدى استراتيجيات الفن القصصي ليكشف الصّراع بين الخوف والرجاء، ثم وصف الأحداث، وبعد ذلك الحكمة الفنية وهي أساس العمل القصصي والتي تمثلت في طول انتظار الأخت لأخيها بسبب تأخره، ثم تأزم العقدة بتفجير الخمارة وإصابة مصطفى، مما أدى إلى ارتعاب الأخت لتنتهي القصة بموته ومحاولة الأخت الانتقام، والحوار المناسب للمقام قصير ومناسب لكل شخصية، والكاتب عزّز مجموعة من القيم لعلّ أبرزها التّضحية والوطنية مدركا تماما بأن المتعلّم في أمس الحاجة لاكتسابها وتعزيزها في نفسيته وبناء شخصيته، والموضوع بطابع

¹ أحمد شريط، الفن القصصي في الأدب الجزائري المعاصر، ص448.

² المشوّق في الأدب والتّصوُّص والمطالعة الموجهة، السنة الأولى جذع مشترك آداب، ص135.

سياسي ثوري ، حتى يتمكن المتعلم من التعرف على إنجازات أبطال بلده وتضحياتهم في سبيل استرداد النصر والحرية ، وأمنة وأخوها مصطفى يمثلان رمز التضحية والمصير في هذه القصة، وكذلك كونها رمز مشاركة المرأة والرجل معا في تحرير الوطن، خصوصا في الموقف الذي جاء على لسان مصطفى : " إذا كان للموت نداء خالد فإن للحياة نداؤها الخالد" معنى ذلك أن الموت دائما هو نداء خالد يأخذ بيد كل إنسان إلى نهاية واحدة، والحصول على الحياة المثلى لا بد الاستجابة لشروطها أو نداؤها الخالد وهو الجهاد من أجل الحرية.

3.4. دراسة في قصة "حادثة مؤلمة" لأحمد منور:

"ولد الكاتب القصصي أحمد منور يوم السادس من شهر أكتوبر عام خمسمئة وأربعين وتسعمئة وألف، بقرية العنصر قرب الميلية بولاية جيجل، تعلم مبادئ اللغة العربية في كتاب قريته، ثم انتقل إلى مدينة قسنطينة لمواصلة تعليمه.

بعد ذلك انتسب لمعهد اللغة والأدب العربي في جامعة الجزائر ليتوج بعدها بشهادة ليسانس بعدها حاز على دبلوم الدراسات المعمقة بجامعة السوربون بفرنسا. عمل مدرّسا في المعهد الوطني للتعليم العالي في تيزي وزو، نشر أول أعماله القصصية 'هلال' وهي أول قصة ينشرها بين عامي 1968 و 1971 في مجلة المجاهد الثقافي، ثم بعد لك أعمال قصصية أخرى ك'الصداع' وقصص أخرى، كما له دراسات 'قراءات في القصة الجزائرية' سنة 1981، ويزاول حاليا تدريسه بجامعة الجزائر"¹.

في قصته الموسومة "حادثة مؤلمة" راح يبيّن لنا كيف أنّ الإنسان يتعرّض لحوادث مختلفة منها ما يترك آثاره على النفس ومنها ما يترك آثاره على الجسد وقد يترك الحادث الواحد كلي الأثرين، ولا يتخطى الإنسان ضغط التجارب المرة إلى إذا تعل بالأمل في مساعدة غيره، وفي هذا السياق شرع الكاتب أحمد منور يصوّر لنا ظاهرة حوادث المرور في قصته بأسلوب شائق وهادف وما تتوكد من آثاره ولا سيما إذا كانت ضحايا الحوادث فئة الأطفال.

جاءت مضامين قصة أحمد منور منطلقة من البطلة زهراء التي ما إن فتحت عينها حتى وجدت نفسها ترقد في المشفى، بعدما أحبرتها أختها عائشة بالحادثة المؤلمة التي وقعت معها في قارعة الطريق وهي تبيع الخبز، ولم تنتبه أثناء توجيهها للجانب الآخر بسيارة قادمة في الاتجاه المعاكس لتصدما وترديها طريحة

¹ أحمد شريط، الفن القصصي في الأدب الجزائري المعاصر، ص424.

فراش المشفى، حيث أصيبت زهراء بجروح متمثلة في كسر في رجلها وبجروح متفاوتة في أنحاء جسمها، وهذا ما أثر سلبا على نفسيته ولأنه وحيدة في مكان غريب عنها ترقد فيه أول مرة.

في المقابل ارتاع الطاقم التربوي للمدرسة التي تدرس بها زهرة لهذه المصيبة فأسرعوا إليها ولزيارتها والتّهوين عليها شعارهم في ذلك قوله صلى الله عليه وسلّم (إذا مرض أخوك فعدّه)، وهذه التفاتة طيبة من زملائها جعلتها تحس بروح التّفاؤل والأمل في الحياة من جديد، وزهراء برغم مكوثها على الفراش إلا أنها كانت ملحة على الخروج قبل الجمعة نظرا لاعتيادها زيارة قبر والديها، إضافة إلى تذكّرها لأحوال المدرسة ومعلميها وزملائها في الصّف وفي هذا دلالة على اهتمامها الكبير بدراستها ونجاحها، وخصوصا لما قاموا بزيارتها مما دلّ على مكانة المريض وعيادته في الإسلام.

جاءت قصة الكاتب أحمد منور مستوفية للخصائص الفنية للفن القصصي ، من توافر الشخصيات وتنوعها بين رئيسة (زهراء ، الأخت عائشة) وثانوية (سعدية، يوسف الوالدين، الزملاء ، المعلمون ، المدير، الطبيب) أما الفضاء المكاني للقصة فحرت أحداثها في الطّريق ثم انتقلت إلى المشفى، والزّمن الفنيّ للقصة المقدّر في ذلك قرابة نصف أسبوع، أما عنصر العقد الفنية وهي التقنية الأساس في العمل القصصي فحبكها القاص بطريقة فنية جميلة متمثلة في كيف أنّ زهراء لمّا حضر في ذهنها تذكر مجريات الحادث والسيّارة السوداء المتجهة صوبها لتجد نفسها في مكان آخر - المشفى - غير المكان الذي كانت فيه تبيع فيه الخبز ، بأسلوب مشوّق وتصورات عديدة تتبادر إلى ذهن القارئ من أفق توقعاته.

أما لغة القصة فجاءت سهلة واضحة بعيدة عن التّعقيد والتّكلّف، فقد استخدم الكاتب ألفاظ عربية تميل إلى اللهجة المحلية في قوله: "ليشتري ركابها خبز **المطلوع** منها.." ¹ ، وفي قوله كذلك: "زرعت في أيديهم أنابيب السيروم.." ² إشارة إلى أصالة اللّغة العربية بلهجتها المحلية، ذلك ليظهر لنا عمق الكاتب في تحيّر ألفاظ القصة القريبة من الوسط الاجتماعي المعيش لشخصيات القصة ولنفسية القارئ في آن واحد، و الذي يستشعر وجوده وحضوره داخل خضم أحداث القصة.

وأحمد منور ركّز من خلال قصته هذه على "إبراز أهم القضايا الاجتماعية وكيف أن فئات المجتمع الجزائري تمايزت إلى طبقتين عقب الاستقلال الأولى تميّزت بالثراء، والأخرى التي تتّصف بالسّعي الدّؤوب من أجل

¹ المَشوّق في الأدب والتّصوُّص والمطالعة الموجهة، السنة الأولى جذع مشترك علوم وتكنولوجيا، ص164.

² المرجع السابق، ص164

تحصيل قوت يومها أو توفير بعض شروط الحياة الكريمة. والكاتب أَلَّفَ بخصوص هذا التناقض كتابات عدة مبرزا الظروف التي أوجدته ولذلك أحسن في انتقاء شخصياته القصصية من أوساط شعبية بسيطة وفقيرة وطيبية في آن واحد¹، ونتج عن هذه الرؤية أن الكاتب لم يركز على فكرة البطل في القصة، وكذلك فإن تطلعات شخصياته القصصية بقيت محدودة، لكنها تتميز بوعيتها بمحيطها الاجتماعي الذي تعيش فيه، وقد جعلتها هذه الخاصية تحافظ على نكهة الطابع المحلي، مما يعبر عن أصالة الكاتب وصدق الفني واحترامه لأحاسيس شعبه وكثيرا ما كان يستلهم من حكايات بيئته أشكالا فنية لقصصه، فقد قال عنه عبد الله ركيبي: "الذي يطمئنني هو أن الكاتب يسير بثبات ويسعى جاهدا لتطوير أسلوب الرؤية ويؤمن بالإنسان البسيط الذي يناضل من أجل ظروفه وضد العوامل التي تشدّه إلى الخلف، وحين يؤمن الكاتب بقضية فإن موقفه يشفع له فيما يمكن أن نختلف معه فيه، كذلك حين نلمس الصدق في الأديب فإننا نبتهج بما يضيفه للأدب والفن الجديد"²، وهذا ما كشفت عنه قصة حادثة مؤلمة ومع بطلتها زهراء.

ولعلّ مجمل الأهداف التي أوصلها الكاتب من قصته هذه للقارئ المتعلّم هو كيفية إحساس الفرد بالأم الآخرين، ومدعاة الوقوف إلى جانب الإنسان الذي لا حول ولا قوة له، وكذا زرع مبدأ التآزر والتآخي، مرسّخا مبادئ الدين وتعاليمه من عيادة المريض، وتفريغ هموم الآخرين وتنفيس عنهم كريمة، كل ذلك تضمنته هذه القصة الفنية لتجسيد كل هذه القيم، وقد أحسن الكاتب إصابة الهدف من وراء سرده لهذه الأحداث من صلب المجتمع والواقع المعيش للمتعلّم وهذا للتعرّف على أسرار الحياة الاجتماعية وخبايها من حوله.

¹ أحمد شريط، الفن القصصي في الأدب الجزائري المعاصر، ص334.

² عبد الله خليفة ركيبي، مقدمة الصّراع وخصص أخرى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص09.

خاتمة:

على ضوء ما سبق، ومن خلال هذه الدراسة اليسيرة حول دور الخطاب القصصي ودوره في التنشئة الاجتماعية لدى متعلّم المرحلة الثانوية، توصلنا لأبرز النتائج نوجزها على النحو الآتي:

- إنّ الخطاب القصصي هو ذلك الفن الأدبي الثري المستمد من حياة الناس العامة والاجتماعية، القائم على سرد أحداث نامية أو مواقف متطورة تتحرّك فيها شخصيات متعدّدة، تتقدّمها شخصية بارزة تنهض بالبطولة في مسار الأحداث.
- لقد كان لحضور النصوص القصصية في الكتب التعليمية الدور الكبير والأثر البارز، حيث تجلّت أهميتها في أنّها جعلت المتعلّم يدرك مجموعة من الحقائق والمعارف، إضافة لها اكتساب ملكة اللّغة والقراءة.
- إنّ الخطابات القصصية المختارة في كتاب مرحلة التّعليم الثانوي كانت منتقاة بعناية لازمة لأجل تحقيق مجموعة من الأهداف التي تسعى إلى غرس القيم والمبادئ خاصة الاجتماعية منها، والتي كانت منها: مدى التّعريف بقضايا وطنه كالثورة بين الماضي والحاضر وهذا ما تجلّى في قصة انتظار لأبي العيد دودو، ثمّ إبراز عواقب عقوق الوالدين وهجرانها وهذا ما مثّله الكاتبة جميلة زهير في نصّها المواجهة، وقيم التضامن والتعاون وفضل عيادة المريض وصلة الرّحم كل هذه تجسّدت في نصّ حادثة مؤلمة للكاتب أحمد منور.
- إنّ كلّ تلك النماذج القصصية تميّزت بواقعية وصدق في الطّرح والتّعبير، كما أنّ لغة القصاصين عمدوا إلى اختيار لغتهم بعناية وتكثيف، مبتعدين عن حشد الألفاظ على حساب المعاني، وتأرجح هذه اللّغة بين الفصحى والعامية.

التوصيات:

- عموماً، يحتاج هذا النوع من الخطابات القصصية مستقبلاً إلى الاهتمام والمتابعة ولأنّها مازالت رغم مرور أزيد من ثمانية عقود - فنّا وحنساً أدبياً فتيّاً-، إلّا أنّها في حاجة إلى تقييم وتقويم من مرحلة لأخرى.

مراجع البحث وإحالاته:

القرآن الكريم، رواية ورش.

- إبراهيم خليل، في نظرية الأدب وعلم النَّص، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010.
- أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط5، 2007.
- أحمد دوغان في الأدب الجزائري الحديث، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط1، 1996.
- عبد العزيز شرف، الأسس الفنية للإبداع الأدبي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1993.
- عبد القادر عميش، شعرية الخطاب السردي، دار الألفية للنشر والتوزيع، قسنطينة، الطبعة الأولى، 2011.
- عبد الله خليفة الركبي، تطوّر النثر الأدبي الحديث، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1978.
- مقدمة الصّراع وقصص أخرى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.
- عبد الملك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر (1931-1954)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الطبعة 1، 1983.
- عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه دراسة ونقد، دار الكر العربي، ط9، 2013.
- عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث تأريخاً وأنواعاً وقضايا وأعلاماً، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.
- كتاب اللغة العربية وآدابها، السنة الثالثة من التعليم الثانوي، تنسيق وإشراف، الشريف مريعي، تأليف، درّاجي سعيدي ومجموعة من الأساتذة.
- محمد مصطفى أبو شوارب، مدخل إلى فنون النثر الأدبي ومهاراته التعبيرية، دار الوفاء، الإسكندرية، (د ط)، (د ت)
- المشوّق في الأدب والنصوص والمطالعة الموجهة، السنة الأولى جذع مشترك آداب، إشراف: حسين شلّوف وتأليف: أحسن بلهلاقي ومحمد القروي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، 2009.
- المشوّق في الأدب والنصوص والمطالعة الموجهة، السنة الأولى جذع مشترك علوم وتكنولوجيا، إشراف: حسين شلّوف وتأليف: محفوظ كحوال ومحمد خيط، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، 2009.
- منهاج اللغة العربية وآدابها، السنة الأولى ثانوي، جذع مشترك آداب وجذع مشترك علوم وتكنولوجيا، مارس 2005.
- نواف نصار، المعجم الأدبي، دار ورد للنشر والتوزيع، ط1، 2007.

الرسائل الجامعية :

- أحمد شريط، الفن القصصي في الأدب الجزائري المعاصر (الشكل الفني) مذكرة ماجستير، إشراف الدكتور نسيب نشاوي، 1986-1987.

الدوريات والمجلات:

- مصطفى فاسي، القصة الجزائرية القصيرة، مجلة الثقافة، عدد18، ديسمبر 2008.